خطاب

سيدنا أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز

الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

ألقاه بمناسبة

الاجتماع السنوي لـ"مجلس خدام الأحمدية"

يوم ٢٠١٠/٠٩/٢٦

في إسلام آباد، مقاطعة سراي، بريطانيا

۞۞۞۞۞

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لـــه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرجيم. ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾. (آمين)

الجماعات التي يؤسسها الله تعالى بواسطة أنبيائه ورسله تقع عليها بعـــض المسؤوليات أيضا بل مسؤوليات جسام في الحقيقة. ثم يستحق أتبـــاع هـــذه الجماعات إنعامات من الله تعالى نتيجة أدائهم تلك المسؤوليات. إن دراســـة تاريخ الأديان توضح بجلاء أن جماعات أحبـــاء الله يمـــرون بسلـــسلة مـــن

التضحيات والمعاناة قبل نوال الفتوحات والانتصارات. لقد ذكرت في خطبة الجمعة الماضية أن الذين آمنوا بعيسى عليه السلام وكانوا قائمين على التوحيد قدّموا التضحيات إلى أكثر من ٣٠٠ عام بحسب القرآن الكريم وتحملوا المظالم ولكن ظلوا محافظين على إيمانهم. كذلك اقرأوا تاريخ الأنبياء الآخرين أيضا ترَوا أنهم وجماعاتهم مروا دائما بفترات الظلم والعدوان والمعارضة المريرة. ففي بعض الأحيان تضطر الجماعات الربانية أن تستمر في تقديم التضحيات إلى فترات طويلة من حيث حياتهم الجماعية والقومية، ولكنها قد لا تحمل أهمية كبيرة من حيث المنفعة القومية دائما. أما الصامدون على الدين والجاهزون لتقديم التضحيات والذين يقدمونها باستمرار بإخلاص ووفاء تُكتَب لهم الفتوحات في نهاية المطاف نتيجة تلك التضحيات، ولكنهم بدورهم يرون تضحياتهم شيئا لا يُذكَر إزاء تلك الفتوحات. ولو لم يشهد الجيل الأول هذه الفتوحات لشهدتها الأجيال الآتية كابرا عن كابر. لذا من مقتضى القوة الإيمانية ألا يقلق أفراد الجماعات الربانية نتيجة الظروف التي تأتي عليها أو التي تمر بها الجماعة الإسلامية الأحمدية اليوم ولا سيما في باكستان. هناك كثير ممن يجلسون أمامي الآن قلقون لما يمرّ به أقاربهم وأحباؤهم وأعزاؤهم من معاناة ومصاعب حاليا في باكستان. ولكن المنتمين إلى الجماعات الربانية والثابتين عليها يصمدون على الدين بالوفاء دائما، ويُصهرون أنفسهم دائما في قالب التعليم الذي يأتي به أنبياء الله وعباده الخواص.

اليوم أريد أن أوجّه أنظاركم – انطلاقا من أقوال سيدنا الإمام المهدي عليه السلام – إلى أنه كيف يمكننا العمل بأوامره، وكيف يمكننا أن ننفذ بالوفاء والإخلاص ما توقّعه عليه السلام منا. يقول عليه السلام:

"إذا كانت جماعتنا تريد أن تكون جماعة بحقٍّ فعليها أن تختار لنفسها موتا، وتتجنب الأمور والأهواء النفسانية وتقدم الله تعالى على كل شيء". وقد ضرب عليه السلام مثالا في معرض هذه البيان أن إبراهيم عليه السلام نال مرتبة سامية لوفائه وسلوكه سبلَ مرضاة الله ونيل رضاه. فإذا كنتم تريدون أن تضربوا أمثلة عليا للوفاء وتريدون أن تنالوا مراتب نالها أحباء الله من قبل فلا مندوحة من تقديم التضحيات في هذا السبيل ولا بد من أن تنسوا أنفسكم.

أولا وقبل كل شيء يجب أن يترسخ في قلب كل أحمدي أن الدين ورضا الله سبحانه وتعالى مرجَّح على كل شيء آخر. فإذا اجتمع الأوفياء على كلمة واحدة وعزموا عزما صميما وصاروا وحدة متحدة فإنهم يصمدون أمام كبار الجبابرة كصخرة قوية. بل يطلعنا التاريخ بأمثال تضحيات الأطفال الصغار أيضا. والمعلوم أن اللذيْن قتلا أبا جهل كانا طفلينِ صغيرينِ تسابقا للهجوم عليه. إن الحركات الجهادية الموجودة في هذه الأيام تُغوي الصغار وتستخدمهم لأهدافها الشنيعة بغسل أدمغتهم. ولكن الصغار الذين قدّموا التضحيات في القرون الأولى أو الذين يقدمونها اليوم لنيل رضا الله طاعة لأوامر مرسَل من الله لا يفعلون ذلك طاعة لأمر الجهلة والأغبياء الذين غسلوا أدمغتهم منذ صغر سنهم، كما تستغلهم الحركات الجهادية في هذه الأيام. قد يقول قائل بأن هؤلاء الأطفال أيضا يقدمون تضحيات، ولكن التضحية التي تخالف تعليم الله

وتقدَّم نتيجة تربية الذين لا يعملون بأنفسهم بتعليم الله بل يحاربون المبعوث من الله فإن هذه التضحيات لا تساوي شيئا مقارنة بالتي يقدّمها أبناء الجماعات التي يؤسسها الله تعالى بيده. بل التضحية الحقيقية هي التي يقدمها أناس يفهمون روح الدين على حقيقتها. الوفاء الحقيقي يُعرف بالطاعة. وإن طاعة الله ورسوله في هذا الزمن تكمن في أن يبحث المرء عن مبعوث من الله ثم يعمل بحسب أوامره وتعليمه.

إن قيام دعوى المسيح الموعود اليوم وتحقق جميع العلامات في هذا الصدد دليل كافٍ على أن الجماعة التي أسسها الله بيده في هذا الزمن إنما هي جماعة المسيح الموعود عليه السلام. إنكم سعداء لأنكم تنتمون إلى هذه الجماعة، ولكن الانتماء وحده لا يكفي. بل من مقتضى الوفاء أن تجعلوا مثال سيدنا إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام نصب أعينكم، وتتنبهوا إلى نماذج قدّمها أصحاب النبي ﷺ لصمودهم على الإيمان وحمايته. وحين نقول اليوم بأن المسيح الموعود عليه السلام جاء لمواصلة مهمة النبي ﷺ علينا أن نقدم أيضا الأمثلة التي ضربها أصحاب النبي ﷺ. فقد ضربوا أمثلة عليا للصلوات والعبادات، فكانوا يقضون هزيعا أكبر من الليل في العبادة. لا شك أنه يوجد في الجماعة بفضل الله أناس – من الشباب أيضا – الذين أعرف عن بعضهم بطريقة أو أخرى ولكن هناك كثيرون آخرون يخفون عباداتهم، وبطبيعة الحال لا أعرف عن الجميع الذين يؤدون صلاة التهجد والنوافل مع قيامهم بأشغال أخرى طوال النهار بل أعرف عن بعضهم فقط. ولكن ينبغي ألا تكون هذه الأمثلة نادرة وشاذة فقط بل يجب أن تكثر وتزداد في شبابنا وصغارنا وكبارنا.

العبادة هي الأهم والأساس لإيثار الله على كل شيء، فلو اعتدنا على ذلك لكُتبت الانتصارات في نصيبنا بإذن الله. الصلاة هي التي ترغِّب الإنسان في الدعاء وهي الوسيلة المثلى لاجتناب السيئات المنتشرة في العالم.

هناك كثير من الشباب الذين يكتبون إليّ طالبين الدعاء – كما يطلبونه عندما يقابلونني – أن يحفظهم الله حفظًا خاصا منه. ولكن أفضل طريقة للحماية هي عباداتهم وصلواتهم، إذ قد أعلن الله تعالى أن الذي يحافظ على الصلوات يجتنب السيئات أيضا، ولا يمكن أن يكون كلام الله كاذبا أبدا.

فإن لم ينصلح الحال على الرغم من الصلوات و لم يبتعد صاحبها من اللهو واللعب وملذات الدنيا و لم يتبرّأ قلبه من السفاسف فلا بد أن هناك نقصا ما في باطنه. وهذا يعني أن صلاته لا تنال عند الله درجة تسفر عن الإصلاح. فعلينا جميعا أن نبذل قصارى جهدنا للحصول على متعة حقيقية في الصلاة، تلك المتعة التي تجعلنا في حضرة الله من المقبولين.

يقول المسيح الموعود عليه السلام بأنه لو تم أداء الصلوات كما هو حقها لحظي صاحبها بالروحانية في غضون خمسة أيام. فلو جعلنا هذا المعيار نصب أعيننا وحاولنا الوصول إليه لأعاننا الله عليه. وعندما نحاول لذلك تهون علينا المشاغل الدنيوية، ونزداد حبا لله. وبتقدمنا في حب الله تعالى ترتفع مستويات الروحانية. ندعو الله تعالى أن يوفق كل عضو من أعضاء مجلس خدام الأحمدية وجميع أبناء الجماعة للوصول إلى هذا المستوى.

إن الله تعالى لا يمنع من العمل الدنيوي، بل إن الذين لا يستفيدون من نعم الله حق الاستفادة لا يستطيعون أن ينجزوا الأعمال التي كُلِّفوا بها ولا أن

يؤدوا حق التجارة والعقارات والأمور الأخرى المفَّوضة إليهم، يقول المسيح الموعود عليه السلام بأن الذين لا يقومون بهذه الأعمال على ما يرام فإنهم مذنبون. ولكن يجب أن يكون الهدف من الأشغال الدنيوية هو نوال الدين. أي ينبغي أن يكون الدين مقدَّمًا على الدنيا دائما وفي كل الأحوال وليس أن تنال الدنيا أهمية أكبر من الدين. فلو تم أداء الصلوات والعبادات الأخرى بحسب ما أمر به الله تعالى فلا بد أن يترك المرء مشاغله الأخرى وعمله أيضا لأداء الصلاة إذا اقتضى الأمر ذلك. ثم يقول عليه السلام ناصحا جماعته في موضع آخر:

"عليكم أن تتخلوا عن أهواء النفس تماما، كل مَن يزوركم من الغرباء إنما يتفرس في وجوهكم وينظر إلى أخلاقكم وعاداتكم واستقامتكم والتزامكم بأوامر الله. فلو لم تكن أعمالكم حسنة لتعثّر بسببكم. فعليكم أن تتنبهوا إلى هذه الأمور جيدا. يقول حضرته عليه السلام:

افحصوا أخلاقكم. والمعلوم أن هناك قائمة طويلة للأخلاق إذ بيّن الله تعالى ما هي الأخلاق الفاضلة التي يجب الالتزام بها وما هي الأخلاق السيئة التي يجب اجتنابها. ففي تلاوة القرآن الكريم يطلع المرء على هذه القائمة. ولقد قدّم الله تعالى النبيَّ الأكرم ﷺ أسوة حسنة لنا جميعا. وقد شهد عزّ وجلّ بحقه قائلا: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم: ٥) ثم أمَرَنا نحن بعد هذه الشهادة فقال: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ (الأحزاب: ٢٢) فكما قلت من قبل إن هناك قائمة طويلة للأخلاق الحسنة والسيئة لا يمكن الخوض في تفاصيلها هنا لذا سأكتفي ببيان بعض الأمثلة فقط.

إن صدق المقال خُلق عظيم وقد أكّد الله ﷻ على ذلك كثيرا، وقال عليكم أن تجتنبوا قول الزور دائما مهما كانت الظروف، التزِموا الصدق دوما فقال: ﴿وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ (الحج: ٣١)

ومن علامات المؤمنين أنهم: ﴿لا يشهدون الزور﴾ أيْ أنهم لا يُدلون بشهادة كاذبة وزائفة. هذه علامة المؤمن العادي، أما مكانة النبي ﷺ فهي أسمى وأعلى من ذلك بكثير. كان أعداؤه ﷺ يتهمونه بتهم كثيرة وشنيعة ولكن لم يستطيعوا أن يتهموه بالكذب في حياته ولو مرة واحدة.

كان الكفار يتناجَون فيما بينهم ويعقدون اجتماعات ليوجدوا سبيلا لوضع الحد على تبليغ النبي ﷺ دعوة الإسلام فقال أحد ذات مرة: عليكم أن تذيعوا أنه كاذب فيما يقول. فهبّ شخص آخر منهم وقال: هذا أمرٌ لو بذلتم كل جهودكم طوال الحياة لإثباته لن يقبل أحد كلامكم، لأن كل مَن عامله أو الذين لديهم معرفة به منذ صغره كانوا يعرفون أنه لم يكذب قط. فهذه هي الأسوة الطيبة أمامنا. علينا أن نفحص أنفسنا هل نحن متمسكون بالصدق لدرجة حتى يشهد بصدقنا غير الأحمديين أيضا. صحيح أن الناس يوجهون إلى الأحمديين في هذه الأيام اتهامات كاذبة لمحض عداوتهم للجماعة – علما أن هذه العداوة منتشرة في جميع أنحاء العالم، ولا سيما بين عامة المسلمين في باكستان بتأثير من المشايخ المتعصبين، لأن قلوبهم ملئت بالضغينة والحقد ضد الجماعة دون أن يسمعوا أو يعوا شيئا عن الجماعة فيكونون جاهزين للإدلاء ببيانات كاذبة تاركين الأمر على عواهنه – ولكن هناك مَن يشهدون على صدق أفراد الجماعة أيضا. ومن دواعي سعادتنا طبعا أن نسمع من الآخرين

شهادةً بحق أبناء الجماعة وثبوتهم على الصدق والحق. فمن واجبنا أن نبلِّغ الدعوة إلى جميع الناس بحسن أخلاقنا، وهذا يُلزمنا أن نحسِّن حالتنا ونتجنَّب الكذب والزور مهما كان بسيطا وصغيرا لأن الكذب والزور مهما كان بسيطا وخفيفا يؤدي إلى تشويه سمعة الجماعة.

هناك كثير من السكان المحليين الذين يأخذون من الحكومة معونة وأجرة البيوت، فعليهم أن يقولوا قولا سديدا دائما. ولينظروا إلى أسوة المسيح الموعود عليه السلام التي أبداها في طاعة سيده ومطاعه ﷺ.

ذات مرة كانت هناك قضية مرفوعة حول عقاره الشخصي رفعها أبناء عمه عليه السلام في محكمة. فقال الخصوم في المحكمة: لو قال الميرزا غلام أحمد بكوننا على خطأ أو قال بأن الأمر ليس كما نقوله نحن فلسوف نقبل كلامه. هذا يعني أنهم قبلوه عليه السلام شاهدا من طرفهم. وكان واضحا تماما أنه لو تمسك عليه السلام بصدق الكلام لواجه هو وإخوته خسارة كبيرة ولكنه مع ذلك لزم بصدق المقال. فسخط إخوته على ذلك كثيرا، ولكن المسيح الموعود عليه السلام قال: لا يمكن بحال من الأحوال أن أكذب من أجل عقار دنيوي.

فهذه هي أسوة الخادم الصادق للنبي ﷺ الذي بعثه الله تعالى في هذا العصر لتربيتنا، والذي قد اتبع سيدَه ومولاه اتباعًا كاملا. فلا بد لنا – عندما ننسب أنفسنا إلى جماعته – من التحلي بهذه الأخلاق أيضا التي أظهرها.

ثم هناك خلق الأمانة التي لا بد من أدائها ولها أنواع كثيرة منها: أداء واجبات المناصب، وأداء المهمة التي تُفوّض إلينا، كما أن هناك أمانات يودعها أهلها إلى الناس فلا بد من أداء هذه الأمانات أيضا، وأداء الفرائض والواجبات

الأخرى، وأداء حقوق الزوجة والأولاد، وما إلى ذلك من قائمة طويلة لهذه الواجبات والأمانات التي لا يسعني أن أذكرها كلها ههنا. ماذا كانت أسوة النبي ﷺ بخصوصها؟ تعالوا نلاحظ ذلك بخصوص المنفعة المالية. لقد حدث في إحدى المرات أن أسلم أحد الرعاة الذي كان يرعى أغنام اليهود، فلما أسلم قال لا يسعني العودة إلى قبيلتي إذ لن أتمكن من أداء الشعائر الإسلامية فيها لأنهم ربما يقتلونني إذا علموا بإسلامي، فماذا عسى أن أفعل بأغنام اليهود؟ فقال النبي ﷺ وَجِّهْ هذه الأغنام إلى حصن اليهود فسُقْها نحوه فستصل إلى أصحابها.

لقد كان المسلمون في ذلك الوقت يشكون من الضعف المادي جراء حالة الحرب السائدة بل كانوا يعانون من الجوع والفاقة ولكن لم يسعهم التفكير في أن يخونوا الأمانات، إذ لا يمكن لمسلم أن يخون الأمانة. فإن أول درس أعطى النبي ﷺ لهذا المسلم الجديد هو أن يؤدي الأمانة إلى أهلها، فلا يخطر ببالك أبدًا أن تخون الأمانة.

فإذا كنا ندّعي بأننا جماعة إلهية ونتحمل الشدائد والمصائب في سبيل الله تعالى، ونتحمل آلامًا يتعرض لها أصدقاؤنا وأقاربنا، فكيف يسعنا أن نخالف ذلك التعليم الذي قدّمه لنا مَن بعثه الله تعالى حكمًا عدلاً في هذا العصر؟ فينبغي أن نتفحَّص أنفسنا اليوم لنعرف هل نؤدي حق أمانات الله تعالى أم لا. فإذا كنا نؤدي حق هذه الأمانات فسننال رضوان الله تعالى، ولكننا سنكون مسؤولين أمام الله تعالى إذا لم نكن نؤدي حقها.

تُرفع إليّ بعض الأمور العائلية التي لا يؤدي فيها الإخوة والأخوات والزوجان الأمانات بسبب الخصام أو الشجار بينهم، بل يغتصب البعض حقوق بعضهم. فعلينا أن نحاسب أنفسنا متعمقين في هذا الموضوع.

وهناك خلق عالٍ آخر وهو الوفاء بالعهد. وهو ما تتعهد به التنظيمات الفرعية والجماعة كلها أيضا وأنتم أيضا تعهدتم اليوم أنكم ستكونون مستعدين للتضحية بالنفس والنفيس كل حين وآن. إنه ليس بشيء هين حيث تفوهتم به بلسانكم فحسب بل هو عهد كبير ويجب أن تفكروا فيه. إنه لعهد كبير جدًّا يتعهد به كل خادمٍ (عضو في مجلس خدام الأحمدية) أو فرد من أفراد الجماعة. إن كل ثانية من حياة النبي ﷺ خير شاهد على أن العهد الذي تعهد به ﷺ مع الله تعالى قد أوفى به أحسن الإيفاء لدرجة شهد الله تعالى على ذلك. يمكن أن تكون في بعض العهود مبررات كثيرة يلجأ إليها الناس من أجل الهروب من الوفاء بها إلا أن النبي ﷺ كان يفي بكل العهود دونما استثناء.

كان أبو سفيان قبل إسلامه ألد أعداء النبي ﷺ، فلما سأله هرقل عن النبي ﷺ اعترف قائلا بأن النبي لم يغدر بنا العهد قط. وهناك مئات الأمثلة في حياة النبي ﷺ للوفاء بالعهد. مرة أتاه سفير إحدى الدول المجاورة وأسلم وأراد البقاء عند النبي ﷺ فرده النبي ﷺ إلى بلاده قائلا إن الأمر الذي أُرسلتَ به عبارة عن عهدك مع الدولة ونحن لا بد أن نراعي هذا العهد فلا بد أن ترجع إلى بلادك، وإذا بقيت ثابتًا على إيمانك بعد إنجاز مهمتك أيضا فيمكنك أن ترجع إلينا. كان الصحابة ومن تربى على يدهم أيضا يراعون الوفاء بالعهد. وهناك حادث رائع مذكور في كتب التاريخ أنه قد جاء أخوان إلى عمر رضي الله عنه وهما يمسكان

أحدًا فقالا لعمر: إنه قتل أبانا. فسأله عمر ﷺ عن هذه الحادثة فاعترف الرجل بأنه قد قتل أباهما، فحكم عمر بالاقتصاص منه، وعندما عرف الرجل أن الأخوين لا يرضيان بأخذ الدية قال إني مستعد للقتل ولكني أرجوك أن تلبي لي طلبي قبله وهو أن أبي كان قد أودعني أمانة لأخي الصغير ولا بد أن أسلّم له هذه الأمانة فأرجو أن تمهلني ثلاثة أيام، فأعود بعدها لأنال هذا العقاب. قال عمر ﷺ: أقبل عذرك ولكن أعطِنا من يكفلك؟ فمن يكفلك؟ فنظر إلى وجوه الناس الموجودين في ذلك المجلس حتى استقرت نظرته على وجه أبي ذر الغفاري ﷺ فقال: هذا يكفلني، فسأله عمر هل تكفله؟ قال أبو ذر: نعم. فغادر هذا الرجل. ولما كان اليوم الثالث اجتمع الناس وحضر الشابان أيضا وانتظروا حتى كادت الشمس تغيب، وأخذ الناس يقلقون من أن صحابيًا جليلا من صحابة النبي ﷺ قد كفل هذا الرجل الغريب الذي لم يرجع بعد. فلما سُئل عمر ﷺ عن هذه الوضع قال: لا بد للكفيل أن يتحمل العقاب لأنه كفل القاتل ولأن الشابين لا يقبلان العفو. كان القلق سائدًا على الحضور وإذ وصل الرجل في حالة يرثى لها بسبب سرعته واستعجاله من أجل الوصول عند الموعد. فجاء معتذرا على تأخيره ثم قال: لقد أديت الأمانة إلى أخي الصغير، والآن أنا جاهز وعاقبوني على جريمتي كما شئتم. قال أبو ذر الغفاري ﷺ: لم أكن أعرف هذا الرجل ولكنني لما تفرستُ في تقاسيم وجهه رأيت فيه مياسم الصدق فرضيتُ أن أكفله. فلما رأى الحضور هذا المشهد سادتهم عاطفة رقيقة، كما تأثر الشابان أيضا فأقدما على الإعلان بالعفو عن

القاتل. قال لهما عمر ﷺ فيما بعد أنه سيؤدي لهم الدية من بيت المال ولكنهما لم يقبلاها وأصرّا على العفو.

تتراءى لنا مثل هذه الأسوة المثلى وهذه المستويات الأخلاقية العالية في ذلك العصر، ليس بالضرورة أن يكون هذا الرجل القاتل صحابيًا، بل يمكن أن يكون قد اعتنق الإسلام بعد وفاة النبي ﷺ إلا أنه يكون قد تربى على يد الصحابة. فإنه اعترف أولا بجريمته بكل صدق، ثم استعد لتحمل العقوبة رغم أنه كان يعرف أنها عبارة عن قتله وإزهاق نفسه، ثم كيف أوفى بعهده بالرجوع إلى مقتله، وكيف كان مهتمًّا بأداء الأمانة؟! كان بإمكانه أن يترك تلك الأموال لزوجته وأولاده أيضا، إلا أنه أصر على أداء الأمانه إلى أهلها. هذا ما علّمناه ذلك الرجل من خلال أسوته تلك.

لا شك أن الله تعالى قد أعطى المسيح الموعود عليه السلام – بفضله ورحمته – من يراعون الوفاء بالعهود، ويؤدون الأمانات إلى أهلها والذين يلتزمون بالصدق والحق، إلا أنه ينبغي أن يكثر فينا عدد هؤلاء. فينبغي علينا استعراض أنفسنا من هذه الناحية أيضا.

إن الاستشهادات المتكررة في باكستان وأحداث الاضطهاد فيها خير شاهد على أن الأحمديين هناك يسعون جاهدين للوفاء بعهودهم التي قطعوها مع المسيح الموعود عليه السلام، وبعضهم يكتبون إليّ أيضا قائلين: لا تقلق فإننا سنقوم بالوفاء بعهودنا التي قطعناها معك. لقد تكلمت أول الأمس في خطبة الجمعة عن الأحمديين في باكستان عندما تطرقت إلى بعض الأمور المتعلقة بمجلس خدام الأحمدية فوصلتني رسالة من رئيس مجلس خدام الأحمدية في باكستان

قال فيها: ليس قولي هذا نابع عن الحماس الزائد أو العواطف الجياشة بل أقول لكم بكل جدّية وبعد تفكير عميق أننا مستعدون لتقديم أية تضحية تُطلَب منا. كذلك كتب إليّ قائدو الأقاليم والمحافظات والمناطق مثل هذا الكلام: أننا مستعدون لتقديم كل تضحية وستجدنا جاهزين للوفاء بعهودنا، فلسنا كاذبين في دعوانا، ولسنا من المتخلفين. ولا يزال هؤلاء يكتبون إلي أنه مهما كثرت هذه المظالم والاضطهادات فلن تهزّ ثباتنا بفضل الله تعالى، بل سنفي بالوعود كلها. مثل هذه العاطفة تَهَبُ حياة جديدة للجماعات وهي التي تدفع إلى إظهار نماذج التمسك بالعهود والوفاء بها صغيرة كانت أم كبيرة. فمن واجبنا أيضا أن نفي بعهودنا المتعلقة بسعينا لتقوية علاقتنا بالله تعالى، كما يجب أن نفي بعهودنا الأخرى أيضا. على سبيل المثال: يجب أن نفي بعهدنا بإيثار الدين على الدنيا، ولن يتم ذلك بالحماس المؤقت أو العاطفة الجياشة المؤقتة أو بالهتافات بل بالمواظبة على السعي من أجل العلاقة المتينة مع الله تعالى وبتبليغ دعوة الأحمدية إلى العالم كله.

إن رسائل الوفاء والإخلاص الواردة من باكستان ليست عبارة عن حماس مؤقت بل يظهر منها ومن عباراتها أنها تعبر عما يختلج في قلوب أصحابها. فإنهم بفضل الله تعالى وبأعمالهم أيضا مداومون على أداء واجباتهم.

لقد أرسل لي الإخوة الذين نجوا من أحداث ٢٨ أيار رسائلهم، وكنت أطلع عليها فوجدت حماسًا عجيبًا في كل رسالة من هذه الرسائل، فوددت أن أقرأ بعضها عليكم حتى تتعرفوا على هؤلاء المضحين فتدعوا لهم.

السيد مجيد بشير – أحد المسؤولين في مجلس أنصار الله في لاهور – يكتب في رسالته: كنت موجودًا في مسجد بيت النور من أجل صلاة الجمعة. لقد أُلقِيَتْ القنابل اليدوية وأُطلِقتْ الرصاصات بطريقة لا يمكن وصفها حيث كانت الطلقات النارية تمرّ عن يميننا ويسارنا. كان المبلغ محمود أحمد شاد قد شرع يفسر آية: ﴿وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا﴾ وإذ بدأ الهجوم، فازددنا إيمانا ويقينا بأن الله تعالى سوف يبدل هذا الخوف أمنًا حتمًا وسوف ينتقم من هؤلاء الذين منعونا من أداء صلاة الجمعة. لقد رأينا الموت ماثلا أمام أعيننا فلم يكن على ألسنتنا إلا دعاء واحد وهو: اللهم إن هؤلاء قد آمنوا بمسيحك الموعود، إنهم ضعفاء ولكن إيمانهم ويقينهم بك قوي، فهل تدعهم يهلكون هكذا؟ كلا، بل ستحفظ الأحمديين كلهم بنفسك.

لقد ظل هؤلاء المضحون محبوسين في الحرّ القائظ وظلوا يساعدون بعضهم البعض وكان بعضهم يملأون طواقيهم ماءً ويسقون بها الجرحى. لقد كان الأولاد الصغار خائفين والكبار مرهقين من شدة الحر. على أية حال كانت الخسائر الفادحة في الأرواح لا تعوّض. ليتني استشهدت أنا أيضا حتى لا أضطر لرؤية مشاهد هذا اليوم. تقطعت القلوب بالآلام وتوقفت الأذهان عن التفكير. ما ذنب هؤلاء الأبرياء العزّل؟ لم يكن إلا أنهم أطاعوا أمر النبي ﷺ فآمنوا بالمسيح الموعود عليه السلام وأصبحوا له طائعين. انظروا إلى مدى طاعتهم لنظام الجماعة بعد هذا الهجوم المفاجئ أيضا فلما أعلن مبلغ الجماعة أن يبقوا جالسين ويركزوا على الدعوات والصلاة على النبي ويرددوا "اللهم إنا نجعلك في نحورهم ونعوذ بك من شرورهم" جلس الجميع فورًا وظل بعضهم يتلقون

الطلقات النارية على صدورهم، وبعضهم أخذوا أولادهم وألصقوهم بصدورهم وراحوا يحفظونهم من أن تصيبهم رصاصة. وهكذا استمرت عملية الإرهاب والرعب لقرابة ساعتين.

هذه هي مشاهد تضحياتهم. هل يمكن أن تتراءى مثل هذه المشاهد في ضعاف الإيمان؟

ثم كتب إليّ أحد الناجين واسمه السيد ذيشان فقال:

لقد تمكّن بعض الشباب بكل شجاعة من السيطرة على إرهابيَين اثنين، وقتلوا أحدَهما بالرصاص. أما رجال الشرطة فلم يرضوا بإعطاء أسلحتهم للشباب الأحمديين كما لم يحرّكوا ساكنا بأنفسهم أيضا. لقد انخفضت نسبة الخسائر بسبب بسالة الشباب الأحمديين، فلو لم يتقدم هؤلاء الشباب الباسلون لكانت الخسائر في الأرواح أكثر بكثير.

وكتب أحد الإخوة الآخرين:

كنت أيضا من بين المصلين يوم ٢٨ أيار، وكان معي ابنان لي أحدهما لقمان وعمره ١٢ عاما والثاني إحسان وبلغ في ٢٤ أيار ميلادَه السادس، وكلاهما بفضل الله من أولاد "وقف نو". لقد أظهر الطفلان تمسكهما بالصبر وتحليهما بالهمة والشجاعة لدرجة تشجعت أنا أيضا برؤية معنوياتهما. لقد بدأت الطلقات النارية مع بداية خطبة الجمعة، ثم انفجرت قنبلة يدوية في المحراب، فأسرعت إلى باحة المسجد الخلفية وأويت إلى خزانات الماء حيث ألقيت طفليّ على الأرض واستلقيت عليهما حتى لا يصيبهما شيء. ولقد بقينا في هذه الحالة قرابة أربع ساعات متتالية، وفي النهاية ألقى أحد الإرهابيين

قنبلة يدوية على مقربة من رجليّ. عندما رآها ابني الكبير دعا الله تعالى صارخًا: اللهم طفح الكيل الآن، ساعدنا الآن، فلسنا بشيء دون عونك، اللهم ارحمنا. وبينما كان يقول هذا الكلام إذ انفجرت هذه القنبلة اليدوية إلا أن الله تعالى نجّانا نحن الثلاثة و لم يصب أحد منا، بل لم يصب أحد غيري وكانت إصاباتي أيضا خفيفة جدًّا.

هل لأحد أن يضيّع إيمان مثل هؤلاء البواسل؟ وهل يمكن أن يقال عن مثل هؤلاء المخلصين – الذين أولادهم أيضا كانوا مفعمين بالحماس الإيماني العجيب – أنهم لا يوفون بعهودهم؟

ثم كتب إليّ أحدهم واسمه السيد لقمان وقال:

أنا من سكان ربوة، وأقيم حاليًا في لاهور بحكم وظيفتي فيها. كنت من بين المصلين صلاة الجمعة في مسجد بيت النور يوم ٢٨ مايو وإذ حدثت هذه الفاجعة فدخل العدوّ الغاشم في المسجد مطلقًا الرصاصات، كنت آنئذ في القبو أستمع إلى الخطبة. فلما سمعت صوت الطلقات النارية هرعتُ إلى الباب الخلفي الذي هو الباب الرئيس المشترك لقاعات عدة، فرأيت أحد الإرهابيين قد صعد من الخارج إلى الطابق العلوي فبطش به ثلاثة من شبابنا العزّل، ثم هاجم أحد الإرهابيين المصلين في الطابق الأرضي ورمى قنابل يدوية ثم كسر النافذة ودخل القاعة مما سبب في الخسائر الفادحة في الأرواح، إلا أن بعض الجرحى وأحد الشباب قد انقضّوا عليه فتمكنوا منه. لقد وفقني الله تعالى أيضا لأسقي الجرحى، وهنا تذكرت بعض الأحداث التي حصلت في العهد النبوي عندما توجهت بالماء إلى أحد الجرحى وكانت جروحه بليغة إلا أنه رفض

وأشار إلى غيره وفضّله على نفسه وقال أنا بخير ويمكنكم الاهتمام بالآخرين. كانت حالة بعض الجرحى خطيرة جدًّا، فلما جاءت سيارة الإسعاف شاركت في نقل الجرحى وجثث الشهداء إليها، وشارك معي شباب آخرون. ولما قلت لأحد الشباب بحمل جثة أخيرة موجودة في ذلك المكان كشَفَ لي أن هذه جثة والده الشهيد. لقد ذكرتُ جزءا من هذا الحادث في إحدى خطب الجمعة أيضا، فواهًا لهم، ما أعظمَ صبرَهم وشجاعتَهم، إذ قد ظل يشتغل ذلك الخادم – حتى بعد وضْع جثمان والده في سيارة إسعاف – في إنجاز مهمات أخرى في المسجد وخدمة الآخرين.

ثم كتبتْ السيدة نبيلةُ من كندا أن أخاها اتصل بها أثناء الهجوم وبيَّن لها الوضْع بالتفصيل وأخبرها قائلا: لقد ألقيتْ القنابل اليدوية الكثيرة في مسجد دار الذكر، فخرجنا من القاعة واختفينا تحت الدرج في البهو حيث كان قرابة سبعين شخص أيضا قد لجأوا قبلنا، كانت الدماء تنـــزف من الجروح وكنا نختنق بسبب الازدحام فخطر ببالي أنه إذا كان الموت لا بد منه فلمَ لا نخرج من هنا لنساعد الآخرين؟ فاندفعنا نحن ثلاثةٌ من الشباب إلى الدرج المؤدي إلى السطح لكي نتمكن من البطش بالإرهابي إذا نزل من هذا الطريق. فانتظرْنا طويلا وكانت القنابل تُمطَر من كل طرف وصوب لكن الإرهابيين نزلوا إلى الأسفل عن طريق آخر وربما هربوا، وانتهت الهجمات بعد ست ساعات، وخرجنا إلى الخارج فوجدنا الطريق مكتظا بالجثث. بعد صلاة الجمعة كان لأخي امتحان MBA. لقد زار أخي في المستشفى رئيسُ الوزراء لإقليم بنجاب السيدُ شهباز شريف وطمأنه قائلا: سنحاسب هؤلاء الإرهابيين لا

محالة، فقال له أخي: إن الله الذي أحياني هو سيحاسبهم، فقال له رئيسُ الوزراء مرة أخرى: لا تقل هكذا نحن سنحاسبهم حتمًا، فقال له أخي مرة أخرى: كلا يا سيدي! إن الذي نجَّاني من الموت هو الذي سيحاسبهم من أجْلنا. فهذه هي الغيرة الإيمانية للأحمديين وثقتُهم بالله ﷻ. (هتافات)

ثم تقول السيدةُ بشرى توقير المحترمة في ذكر سياق هذه الأحداث: لعل كل أحمدي يتمنى – نظرا للعظمة التي قدمتْ بها الجماعة الإسلامية الأحمدية هذه التضحيةَ بالأرواح –، أنه لِم لم يكن هناك يوم الحادث. فكان ثمة طفل واقفٌ (وقف نو) يقدم خدماته تطوعا عند الباب الرئيس لمسجد دار الذكر كل أسبوع، لكن المنظمين أرسلوه أمسِ إلى الباب الخلفي فحدثَ هذا الحادث، فلم يعُدْ الطفل إلى البيت انزعاجا منه على أنه لم ينل درجة الشهادة. هذه العواطف لأبناء الجماعة لجديرة بالتقدير والإعجاب. ثم قرأتُ في التقرير عن هذا الحادث أن أحد الأحمديين ظل يتضرع إلى الله ﷻ ويبتهل حتى في أثناء إطلاق النار بغزارة دون أي خوف أو رعب منها، كما شوهد شيخٌ مسنٌّ يشجِّع الآخرين على تحمُّل الألم وقد جُرح ساعدُه جرحا بليغا. أحد كبار السن قال لأصحابه: لا شك أن كل واحد يدعو الله على انفراد، فتعالوا ندعو الله جماعةً أن يُفرج عنا، اتصل أحدُ الجرحى الذين كانت جروحهم شديدة وكان كبير السنّ بابنه وقال له: يا بُنيَّ يكاد يوافيني الأجلُ فأنت أكبر أولادي فأرجو أن تهتم بوالدتك وإخوتك الصغار. طفلٌ جريح قد تلقى الرصاص على صدره اتصل بوالدته وهو مصاب بجروح خطرة والتمس منها العفو على تقصيراته وتهاونه واستُشهد فيما بعد.

يقول السيد سليمان: كان الدخان يسود المكان وكان الأحمديون قد جُرحوا كثيرا فخرج أحمديان أو ثلاثة أحمديين من بينهم فأمسكوا بالإرهابي المهاجم ونجحوا في تصفيده بالحبال، وكان بحوزته عشرون قنبلةً يدوية وسترةً قابلةً للتفجير فأزالوها عنه. ويمكن أن تقدروا حجم الخسائر الفادحة والدمار الكبير المحتمل لو نجح الإرهابي في استخدام القنابل اليدوية وتفجير السترة المليئة بالمتفجرات، كما ألقى الخدام القبض على إرهابي آخر جريح أيضا، أما الشرطة فقد وصلتْ بعد نصف ساعة. فهذه النماذج السامية للبسالة والتضحية قدمها الخدام هناك. وسردتُ عليكم بعض هذه الأحداث لأخبركم أن الأحمديين في باكستان – رغم الحظر على عقد الاجتماعات والجلسات وعقْد أيِّ برنامج بحُرية، ورغم هذا المحيط المعادي للجماعة دوما، ورغم هذه الأحداث الدامية التي ظهرت في المسجدَين في لاهور، ورغم أن الأخطار قد تزايدت بعد هذه الأحداث وتفاقمت الأوضاع خطورة – يحافظون على إيمانهم ويوفون بعهودهم. ولعل للكثيرين منكم – كما قلت قبل قليل – أقاربَ أعزة يتأثرون من هذه الأوضاع الصعبة هناك مباشرة، وبعضكم سمعوا ما تعرَّض له الآخرون من أحداث مؤلمة ومع ذلك قد يكون بعضكم لا يعرفون هؤلاء المُضحّين أو لم يتسنّ لهم سماعُ أحداثهم، ونظرا لهذا قد بينتُ لكم كيف يعبّر أقوياء الإيمان هؤلاء عن إيمانهم.

فمِن طبْع الإنسان أنه ينسى الأحداث بمرور فترة من الزمان، غير أن من واجبنا أن نذكر على الدوام شهادة الشهداء وتضحيات المُضحين، لأن الهدف النبيل الذي من أجله جادوا بأرواحهم علينا نحن أيضا أن نستمر في بذل

المساعي لنيله. ومن علامات الأمم المتقدمة أنها لا تنسى المضحّين منهم بل تذكرهم دوما وتتلقى منهم الدروس وتُقوي إيمانهم، فليس من شأن هذه الأحداث أن تولِّد فينا اليأس والقنوط وتُرهبنا، بل إنها تحدث لتقوي إيماننا ولتُعلِّمنا الأساليب لنبقى مستعدّين لتقديم التضحيات وهي تقوي إيماننا ونفوسنا.

وإحياءً لتضحيات هؤلاء ووفائهم بالعهود ينبغي أن نجدد عهودنا نحن أيضا، ويجب أن نقويها أكثر بإمعان النظر فيها، لقد قال سيدنا المسيح الموعود عليه السلام: إن الله سبحانه وتعالى يُعِدّ الآن جماعة الصادقين ويجب علينا أن نسعى جاهدين لنبقى ضمن جماعة هؤلاء الصادقين، ولا يتحقق ذلك ما لم نفِ بكل عهد لنا وما لم ننجز كل مسئولية بإخلاص وما لم نؤدِّ كل واجباتنا على أحسن وجه، لأنه عليه السلام قد نبّهَنا أيضا أن غير الصادق سيغادرنا إما اليوم أو غدا، وسينقطع عن جماعتنا حتما، أما الصادق فلن يضيِّعه الله أبدا. فتذكروا على الدوام أنه يجب علينا أن نداوم على تقديم نماذج الصدق بإذن الله، وإذا فعلنا ذلك فسوف نكسب رضا الله سبحانه وتعالى على الدوام. يجب على شبابنا وأطفالنا أيضا أن يضعوا هذا الأمر في الحسبان دوما، فقد قدمتُ لكم أمثلة الأطفال والشباب أيضا، وتلقينا منها الدرس أنّا لن نخاف أي تصرف للعدو أو هجوم له أبدا وأننا سنظل نؤدي واجباتنا ومسئولياتنا الملقاة على عواتقنا ونفي بعهودنا على خير ما يرام، يجب أن لا يساورنا أيُ شك في المستقبل نظرا لطول زمن الابتلاء، بل يجب أن يزيد كلُّ ابتلاء إيمانَنا بالمسيح الموعود عليه السلام وإيقاننا بصدقه عليه السلام، فقد قال حضرته عليه السلام: سيأتي على أتباعنا أيضا زمانٌ لن يروا

فيه غيرَ التقدم والازدهار إن شاء الله، ولا نعرف هل سيتحقق هذا الازدهار في زمننا أم بعدنا، ولا يصيبنا أيُّ قلقٍ من أن أتباعنا لن يكونوا أغنياء، كلا سيكونون أغنياء حتمًا وإنما يؤسفني ويُخيفني أن يصطبغوا هم أيضا بصبغة هؤلاء الدنيويين فيغفلوا عن الدين إذا اغتنَوا، ويؤثروا الدنيا على الدين.

فهي بشرى لنا ولكم جميعا أن أتباع سيدنا المسيح الموعود عليه السلام سينالون الدنيا أيضا، لكن لا تبحثوا أبدا عن دنيا مِن شأنها أن تُبعدكم عن الدين. اجعلوا طاعةَ الله والامتثالَ لأوامره نُصب أعينكم دوما، واتخِذوا طاعة رسوله غايتكم المنشودة دوما، حافِظوا على عهودكم بوفاء وصدق، وابذلوا مساعيكم وجهودكم لإيصال رسالة الإسلام إلى أكناف العالم، نسأل الله تعالى أن يوفقنا لذلك، تعالوا شارِكوني في الدعاء.